

الفصل الخامس

مادبا وقراها في العهد الهلبي 1946-2013م.

أولاً: دور أهالي مادبا في الحروب في فلسطين من 1948-1991م.

ثانياً: أهالي مادبا ودورهم في الحياة السياسية والحزبية.

ثالثاً: أهالي مادبا والربيع الأردني.

تمهيد

تطورت مادبا وقراها في هذه الفترة كغيرها من المدن الأردنية تطوراً لافتاً في أكثر من صعيد، وعلى المستوى الإداري والتنظيمي، تحولت من قضاء إلى لواء إلى أن أصبحت أخيراً بمستوى محافظة من محافظات المملكة الاثنتي عشرة، يتبع إليها لواء ذيبان وعدد من الأفضية: قضاء مادبا وقضاء الفيصلية وقضاء جرينة وقضاء العريض وقضاء مليح⁽¹⁾، فضلاً عن عددٍ من القرى⁽²⁾. وتمثل مادبا على مستوى المجتمع الأهلي أو السكاني تنوعاً اجتماعياً واضحاً، برز أثره في النشاطات الوطنية والسياسية المختلفة.

أولاً: دور أهالي مادبا في الحروب من 1948-1991م.

دأب أهالي مادبا والعشائر المحيطة بها على موقفهم الداعم للقضية الفلسطينية ونصرة الشعب الفلسطيني وعبروا عن وجوه هذا الدعم بكل ما يستطيعون، وظهرت بواكيره

(1) اليزم، نضال، أطلس مدن الأردن، دار عالم الثقافة، عمان، الأردن، 2010، ص130.

(2) وعن قرى مادبا انظر: الذيب، معجم أسماء المدن والقرى، ص329-346. أبو فروة الدوايمة، موسوعة المدن والقرى الأردنية، ط1، وزارة الثقافة، عمان، 2012م.

منذ عشرينيات القرن الماضي بما مثله من مواقف لهم في عهد إمارة شرق الأردن ابتداء من رفضهم لوعده بلفور والمخططات الصهيونية في فلسطين والمنطقة العربية، فضلاً عن دعمهم لحركة التحرر الوطني والثورة الفلسطينية، لا سيما ثورة عام 1936م، وظهر ذلك جلياً من خلال المساعدات المادية والعينية للشوار لا سيما المال والسلاح، وسبق أن تطرقنا إلى ذلك بالتفصيل أثناء عهد الإمارة.

ولم يكن الأمر غريباً أن نلمس بعد ذلك لأهالي مادبا وما حولها دوراً مشهوداً في حرب عام 1948م، إذ تطوع الكثير من أبنائها للقتال والدفاع عن ثرى فلسطين ضد العدو الإسرائيلي، فشكل شيوخ العشائر فرقاً من أبناء عشائرتهم وحملوا السلاح وشاركوا في الجهاد، إلى جانب الجيش الأردني الذي لم يكن تخلو عناصره من أبناء مادبا ضباطاً وأفراداً. واستشهد على أرض فلسطين العديد من أهالي مادبا وقراها وبلداتها، وجرح الكثير منهم⁽¹⁾.

ويذكر من بين الذين استشهدوا من أبناء مادبا وقراها على أرض فلسطين عام 1948م، يعقوب منور المهيترات العبادي (سكان مادبا)، وعلي الغافل الشاهين، وصايل سلامة النوفل الزبن⁽²⁾، وخليل عيسى الشهوان العجارمة، ومحمد سالم عيسى، وعيسى القيسي، مصطفى عبد الرحمن محمد، يوسف إبراهيم ماضي، ومن ماعين علي عواد، وعلي مقبل محمد البريزات، وقطيفان حسين، ومشافق عطية من بني حميدة.

(1) رواية شفوية للنائب السابق المهندس علي أبو أرييحة. نقلاً عن مقالة بعنوان: "مادبا السياسية من موسكو الصغيرة إلى معقل للإسلاميين" إعداد: نهاد الجريري، مجلة السجل، العدد 67، السنة الثانية، 12 مارس 2009م، ص1، وسيشار له فيما بعد: الجريري، مادبا السياسية.

(2) الغيبين، فهد مقبول، مذكرات محارب، تحرير عمر العرموطي، مطابع الجزيرة، ط1، عمان، 1429هـ/ 2008م، ص30، وسيشار له فيما بعد: الغيبين، مذكرات محارب. وانظر أيضاً: الفايز، عشائر بني صخر، ص156.

كانت نكسة عام 1948م صدمة للعرب جميعاً، فقد اضطرت معظم سكان المناطق في فلسطين التي احتل الإسرائيليون قسماً منها آنذاك إلى الهجرة منها إلى الدول العربية المجاورة، ومنها الأردن، وكانت مادبا إحدى المدن الأردنية التي استقبل أهلها والعشائر المحيطة بها اللاجئين الفلسطينيين بصدور رحب، وفتحوا لهم مضافاتهم ودواوينهم وبيوتهم ومسكنهم؛ ليقيموا فيها، وتقاسموا معهم لقمة الخبز، والمتاع.

وبعد مضي عدة سنوات وبالتحديد في سنة 1952م أنشأت الحكومة مخيماً خاصاً للاجئين في الجهة الجنوبية الغربية من بلدة مادبا؛ لتخفيف الأعباء على الأهالي الذين أقام اللاجئين في بيوتهم، وبسبب الأعداد المتزايدة من هؤلاء اللاجئين، وقد كان أغلب سكان المخيم من ديربان من مناطق القدس، وبلدة عرتوف، وبيت نثيف، وعجور من الخليل، وغيرهم من مدن وقرى فلسطين، فيما سكن آخرون من بلدة الدوايمة من الخليل وعائلة الأقطش في قرية مليح عند بني حميدة، وسكنت بعض عشائر بئر السبع على أطراف المخيم من الجهة الجنوبية الشرقية لمادبا في التيم وربع العجلة، وسكن بعضهم أيضاً في قرى بني حميدة، وخاصة الجبلية منها، وغيرهم ممن سكن في القرى⁽¹⁾.

واستمر أهالي مادبا بعد عام 1948م بتشكيل فرقٍ من المتطوعين للقتال في فلسطين، وتزويد المقاتلين هناك بالأسلحة ونقله إليهم، وذلك بقيام العديد من الزعامات المحلية بشراء الأسلحة وتهريبها للمقاتلين في فلسطين، ففي 25 / 9 / 1956م استشهد بمعركة حوسان من أهالي مادبا فائق عودة المتاعيس الحدادين⁽²⁾.

وعند نشوب حرب 1967م شارك أهالي مادبا وقراها أيضاً ضباطاً وأفراداً في هذه الحرب، وكانت إحدى سرايا خفر السواحل في البحر الميت وخليج العقبة بقيادة الرائد

(1) حتاملة، الديار الأردنية، ج1، ص378.

(2) جميعان، مادبا، ص78. وانظر أيضاً: الفايز، عشائر بني صخر، ص148-160.

فؤاد الحدادين⁽³⁾، واستشهد من أهالي مادبا في المعارك مفلح سلامة فلاح الوخيان⁽⁴⁾، من كفير الوخيان، وعبدالله عواد بخيت من ذيبان، وموسى منصور فالح القبيلات من مليح، وعبدالله سالم الشهوان العجارمة من أم البساتين⁽⁵⁾، وسليمان عطية سليم الشخانة من بني حميدة، الذي استشهد برفقة صالح عبدالله شويعر وراشد العظامات وصياح فياض عواد الفقراء بمعركة الدبابات في نابلس يوم 7 / 6 / 1967م⁽⁶⁾، وحمود أبو قاعود، وسحمان ارشيد محمد من نتل، وحميدان الغيث من العال، وسليمان سالم السلايطة، وصالح حمد سلامة، وحسن سليمان محسن، وعبد الحافظ عبد الله من القريرات.

وقد كان لمعركة الكرامة عام 1968م، أثرها الكبير في معنويات الجنود والشعب الأردني عامة إذ أعادت للأمة كرامتها، وذلك بالانتصار على العدو الإسرائيلي وصدّه، وتكبيده الخسائر الفادحة. وكان لقادتها من أهالي مادبا دور كبير في الانتصار الذي حققه الجيش الأردني على القوات الغازية، فقد كان شهاب أبو وندي (قائد فصيل دبابات في منطقة المصري)، ومحمود أبو وندي (قائد سرية دبابات / احتياط)، وشبيب أبو وندي (ضابط أمامي ملاحظة للمدفعية في كتيبة مدفعية الميدان الخامسة، وقائد مدفعية على جسر الأمير عبدالله / سويمه)⁽⁷⁾، وكان فهد مقبول الغيين (قائد كتيبة عبدالله بن رواحة 37، كتيبة مشاة على طريق القدس عمان / جسر الأمير عبدالله - ناعور)، وقد ذكر الغيين في

(3) الموسى، سليمان، تاريخ الأردن في القرن العشرين 1958-1995م، ج2، منشورات مكتبة المحتسب، عمان/ الأردن، ط1، 1996م، ص167.

(4) الأسعد، مصطفى، شهداء الأردن على ثرى فلسطين، ط1، اربد، الأردن، 2003م، ص221، وسيشار له فيما بعد: الأسعد، شهداء الأردن.

(5) الأسعد، شهداء الأردن، ص149-154.

(6) مقالة محمود كريشان، بعنوان: «شهداء الجيش العربي الأردني» جفران نيوز صحيفة إلكترونية، 11 / 11 / 2012م.

(7) لمزيد من المعلومات عن دورهم انظر: رواية اللواء شبيب أبو وندي في الموسوعة التاريخية المصورة: معركة الكرامة الخالدة، الجميس 21 آذار 1968م، الناشر القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية، عمان، الأردن، 2011م، ص472-477. وسيشار للموسوعة فيما بعد: الموسوعة التاريخية المصورة معركة الكرامة الخالدة.

ذكرياته كمحارب أن الملازم محمد هويل حتمل الزين وهو من قرية جلول شرق مادبا، وكان قائداً لإحدى السرايا التي توجه بها إلى وادي قريب من الخطوط الأمامية، لمواجهة العدو الإسرائيلي، وأنه خاطب قبيل الهجوم أفراد سريته: «اللّي ما يموت اليوم ما هو أخوي»، فاستبسّل جنوده في القتال، وفي أثناء المعركة دمر الملازم محمد ورفاقه الذين يستقلون إحدى الدبابات أربع دبابات للعدو، وسيارة جنود، وأثناء محاولة رصد هدف جديد للعدو أصابته قذيفة فاستشهد⁽¹⁾.

وكان من بين الذين استشهد من أهالي مادبا في تلك المعركة الدكتور نورس اليعقوب من مادبا، ومحمد هويل حتمل الزين من جلول/ مادبا، واسماعيل خليل اسماعيل المراعين من الجيزة/ مادبا، وسميح صالح سلمان الحدادين من ماعين⁽²⁾، وطالب شحادة سالم الفقهاء من لب، وعبد الرحمن محمد كساب الشخانة مادبا - يرد أحياناً باسم النعيمات-، وهزيل سلمان سليم العوازم من ماعين، وعارف محمد حمدان (الجمالية) الغنيمات من كفير الوخيان، وعبدالله نزال سالم الكعابنة من طور الحشاش مادبا، ومقبول غديفان ثنيان الزين من مادبا⁽³⁾، وسعد أحمد ناصر من حسان وصلاح أحمد السلطان الثوابية من السامك⁽⁴⁾.

وعند انطلاق الثورة الفلسطينية المسلحة، وقيام العمل الفدائي، سارع العديد من أهالي مادبا بالانخراط في العمل الفدائي على الأرض الأردنية في مطلع السبعينات، وتولى عدد منهم قيادة بعض الفصائل والمجموعات المقاتلة فعلى سبيل المثال تولى ضافي الجمعاني

(1) وللمزيد عن تفاصيل استشهاده انظر: الأسعد، شهداء الأردن، ص 170-171. والغين، مذكرات محارب، ص 91.

(2) جميعان، مادبا وعشيرة الكرادشة، ص 78.

(3) المجالي، بكر خازر، الملف التوثيقي لمعارك الكرامة، الأردن، 1968م، ص 195-199، 203، 237-239، وسيسار له فيما بعد: المجالي، الملف التوثيقي لمعارك الكرامة. وانظر أيضاً: الموسوعة التاريخية المصورة: معركة الكرامة الخالدة، ص 36-41.

(4) المجالي، الملف التوثيقي لمعارك الكرامة، ص 210.

مسؤولية مكتب العمل الفدائي في القيادة القومية، وكان أميناً عاماً لقوات الصاعقة في الأردن⁽¹⁾. وشهدت المدينة وقراها إنشاء العديد من قواعد التدريب، وعندما حدث الصدام المسلح بين المقاتلين في المنظمات الفدائية والجيش الأردني، وقف أهالي مادبا أيضاً قادةً وضباطاً وأفراداً إلى جانب الجيش الأردني⁽²⁾. واستشهد من أبناء مادبا في أحداث السبعينات كما ذكر رشيد راشد مسلم الرواحنة، وفضل خلف مطير الحديثات، وعبد الرحمن محمد ثلجي الزوغة، وسلامة محمد سليمان أبو راجوح، وراجي عبد اللطيف قبلان، وعبيد خلف الهيلم، وفهد مضفي السوارية، وغيرهم⁽³⁾.

وعند نشوب حرب تشرين / رمضان سنة 1973م، شارك نفرٌ كبير من أبناء مادبا المنخرطين في اللوائين الأربعين والستين من الجيش العربي الأردني إلى جانب إخوتهم في القوات العربية الشقيقة بالحرب على الجبهة السورية.

ويُذكر أنه لا يزال عدد من أبناء مادبا مفقودين في تلك الحرب ومنهم: حاتم إبراهيم بساط الوخيان، وهيكمل منصور الزين⁽⁴⁾، بالرغم من اعتقاد بعضهم أنهم ما زالوا في سجون الاحتلال، ومن هؤلاء الأسرى بطمان الشوابكة وغيرهم.

أما في الوقت الحالي فيعمل عدد كبير من أبناء مادبا وقراها كغيرهم من أبناء الأردن، في الجيش العربي، والأجهزة الأمنية، والدفاع المدني، وقوات الدرك، وغيرها من المؤسسات العسكرية، وأساتذة في الجامعات، وفي جميع مؤسسات الدولة، ومنهم من تقلد مناصب عليا مختلفة في الدولة، لا مجال لذكرها في هذه الدراسة.

(1) الجمعاني، ضافي، من الحزب إلى السجن (1948-1994م)، مذكرات، ط1، دار الريس للكتب والنشر، 2007م، ص 32 و 210، و 217، و 293، وسيشار له فيما بعد: الجمعاني، من الحزب إلى السجن. ولزويد من المعلومات عن الصاعقة انظر: المصدر نفسه، ص 252-253.

(2) المصدر نفسه، ص 243-267.

(3) نعتذر عن عدم ذكر جميع أسماء الشهداء، وذلك لعدم القدرة على إحصائها جميعاً.

(4) جريدة الدستور، يوم الاثنين الموافق 18 تشرين ثاني 2013م.

ثانياً: أهالي مادبا ودورهم في الحياة السياسية والحزبية.

عجزت القيادات السياسية التقليدية الأردنية والحكومات المتعاقبة التي تمثلها عن استيعاب طبيعة التغير الاجتماعي الجذري الذي جرى في المجتمع الأردني في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين وتساعد وتيرته، نتيجة الثورة التعليمية التي شهدتها البلاد خلال هذين العقد من الزمن، ونتيجة حالة الوحدة الحقيقية بين الشعبين الأردني والفلسطيني بُعيد احتلال فلسطين، وأصبح الحكم في الأردن بحكم طبيعته المحافظة، وتركيبية تحالفاته التقليدية غير قادر على استيعاب نتائج هذا التغير، فأثر العجز أو التجاهل عن إفساح المجال أمام الفئات الجديدة القادمة من الريف أو الأحياء الشعبية في المدن والبادية، ومخيمات اللاجئين للمشاركة في الحكم والسلطة، مما ولد عداً سياسياً بين هذه الفئات والحكومة حول النهج السياسي والوطني الذي تسير فيه مختلف القضايا الوطنية⁽¹⁾ والذي ما زال موجوداً إلى الآن، رغم بعض المحاولات التي قامت بها الحكومة، بعد ظهور الأحزاب من محاولة استيعاب بعض أبناء العشائر الأردنية في الإدارة، كردة فعل على استقطاب الحركة الحزبية أبناء العشائر الأردنية الذين انخرطوا بين صفوفها، والاهتمام بالبنية التحتية والاهتمام بالحركة العلمية⁽²⁾، التي زادت من الوعي عند أبناء العشائر الأردنية⁽³⁾.

كانت حقبة الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين تشهد صعوداً متنامياً وكبيراً في الفكر الشيوعي والقومي والإسلامي، وكان من الطبيعي أن ينشط الشباب المتعلم في الحراك السياسي والاجتماعي؛ ليبشروا بالفكر اليساري، لا سيما وأنه يتسم بالأفكار

(1) محافظة، علي، دراسات في تاريخ الأردن المعاصر، النخب السياسية والأحزاب، مطبعة الثقافة، دار سندباد، ط2، عمان، الأردن، 2011م، ص49، وسيشار له فيما بعد: محافظة، دراسات في تاريخ الأردن.

(2) حتر، ناهض، تحولات جذرية في الأردن 1994-2004م، ط1، العروبة للطباعة، القاهرة، 2004م، ص113-116، وسيشار له فيما بعد: حتر، تحولات جذرية.

(3) حتر، تحولات جذرية، ص116.

الثورية، التي كانت الشعوب العربية متعطشة إليها؛ لمقاومة الاستعمار والصهيونية ودولة الكيان الإسرائيلي في فلسطين المحتلة؛ لذ نشأت الأحزاب السياسية المعارضة في تلك الفترة بدون إذن مسبق من السلطة، وأخذت تمارس بعضاً من نشاطاتها بشكل علني، ونشأ بعضها الآخر بشكلٍ سري؛ نتيجة استمرار ملاحقة الأجهزة الأمنية لها، واعتقال قادتها وأفرادها والتضييق عليهم. وكان للتكافل الاجتماعي في المجتمع الأردني الواحد في تلك الفترة أثره في مواجهة أساليب القمع كافة التي لجأت إليها الحكومات المتعاقبة، فقد كانت أسر المعتقلين من ناشطي المعارضة من الأحزاب وغيرها تحظى برعاية الجميع، هذا بالإضافة إلى أن المجتمع كان ينظر إليهم نظرة إعجاب وتقدير بصفتهم أبطالاً وطنيين، وكانت قناعاتهم الفكرية تعزز من صمودهم وتحديدهم للسلطة، فيقبلون على السجن والاعتقال بنفس راضية وشموخ وطني⁽¹⁾.

ونتيجة ذلك كله لجأت الحكومة إلى فرض الأحكام العرفية في البلاد وحظر النشاط الحزبي منذ سنة 1957م، إذ منعت الأحزاب من ممارسة العمل السياسي، باستثناء جماعة الإخوان المسلمين الذين حالفوا النظام الحاكم، ومارسوا نشاطهم بصورة علنية في الساحة الأردنية، وبقي هذا الحال حتى سنة 1993م وهو العام الذي عادت فيه الحياة الحزبية في الأردن للعمل من جديد وفق قانون جديد ينظم الحياة الحزبية والسياسية⁽²⁾. وأثر ذلك بصورة كبيرة في تطور الحياة السياسية في الأردن التي لاتزال تشهد ضعفاً وتشرذماً وتفككاً إلى الآن.

وفي ظل هذه الظروف المضطربة برز العديد من رجالات مادبا ممن ساهموا في الحياة السياسية في الأردن، وقاموا بدور كبير فيها، فقد عُرِفَت مادبا في نهاية الخمسينيات وبداية

(1) محافظة، دراسات في تاريخ الأردن، ص 49.

(2) المرجع نفسه، ص 49.

الستينيات من القرن العشرين باسم «موسكو الصغيرة»⁽¹⁾. وذلك لكثرة ما كان فيها من الشيوعيين والنشطاء اليساريين الذين كانوا جزءاً مهماً من الحراك السياسي والحزبي في الأردن في تلك الفترة، والذي شارك فيه بعد فترة وجيزة على أرض مادبا أعضاء حزب البعث العربي (البعثيون) والقوميون العرب، وجماعة الإخوان المسلمين الناشط السياسي⁽²⁾.

ويمكن أن يُعزى السبب في انخراط العديد من أبناء مدينة مادبا وما حولها من أبناء العشائر الأخرى في الأحزاب ذات الأيدلوجيا الماركسية والشيوعية، هو أن كثيراً من أبناء مادبا كانوا من خريجي الجامعات العربية مثل مصر وسوريا والعراق ولبنان خاصة الجامعة الأميركية في بيروت⁽³⁾. فضلاً عن عودة الشباب المهاجر من أبناء مادبا من الدول الأجنبية والذين اضطروا للهجرة بداية عهد الإمارة نتيجة للأوضاع الصعبة التي ألمت بهم وتقاعس الحكومة عن إيجاد الحلول لهم، وسيطرة رجالات من خارج الإمارة على مؤسساتهم وسبق أن أشرنا إلى ذلك. وقد عاد هؤلاء الشباب كغيرهم من أبناء وطنهم محملين بالفكر الشيوعي والبعثي والقومي.

ثم بدأت الحلقات الماركسية - كما يرى البعض - بالظهور في مادبا في نهاية فترة الأربعينيات، وهذا يعني أنها كانت موجودة قبل تأسيس الحزب الشيوعي الأردني، حيث يذكر منير الحمارنة في هذا الخصوص أنه كان عضواً في هذه الحلقات الماركسية، وهو لا يزال في مقتبل الشباب وعمره آنذاك 15 سنة، وكان يُكلف بنسخ المجلات التي تصدرها الأحزاب الشيوعية: مثل الحزب الشيوعي السوري اللبناني، والحزب الشيوعي العراقي، ثم يقوم بعد ذلك بتوزيعها مع عدد من رفاقه في مدينة مادبا⁽⁴⁾. ومن أشهر الشخصيات

(1) الحمارنة، مادبا أيام زمان، رواية عن عاطف صليبا المعاينة، ص 186.

(2) الجريري، مادبا السياسية، ص 1.

(3) الحمارنة، مادبا أيام زمان، رواية عن عاطف صليبا المعاينة، ص 186. والجريري، مادبا السياسية، ص 1، عن رواية شقوية للنائب السابق المهندس علي أبو إرييحة.

(4) الجريري، مادبا السياسية، ص 1-2، عن رواية شقوية للدكتور منير الحمارنة، وانظر: الحمارنة، مادبا أيام زمان، رواية عن منذر حدادين، ص 136.

التي ظهرت في الحزب الشيوعي فؤاد قرايين، وحناء هلسا، وغالب هلسا، وإبراهيم الطوال، ومحمد السالم الشاهين، وفايز البجالي⁽¹⁾. كما وتولى الدكتور منير الحمارنة فيما بعد منصب الأمين العام للحزب الشيوعي في الأردن⁽²⁾.

أما عن القوميين العرب في مدينة مادبا، فيعود سبب ظهورهم إلى قدوم طبيب إلى مادبا كان يعمل في وزارة الصحة، واسمه شفيق زهران، وهو يُعد أول من كون حلقات حزبية للقوميين السوريين في مادبا، كان من روادها آنذاك توفيق السلايطة، وشكري سالم الصوالحة، وبعدهم بمدة طارق المصاروة، وكمال المصاروة، ودخل الله الكرادشة، وحابس المعايطه، وغيرهم ممن كان يحضر اجتماعات القوميين الأوائل السرية⁽³⁾، الذين لا نعرف أسماءهم بسبب شدة السرية التي كانوا يتعاملون بها خشية من بطش السلطة وملاحقتها لهؤلاء الناشطين.

كان من صور الحالة الفكرية والوعي - التي يذكرها منير حمارنة - التي عاشها أهالي مادبا وقرأها أثناء الانتخابات النيابية عام 1953م، قدوم جورج حبش مؤسس العمل القومي العربي في الأردن، وإقامته مهرجاناً انتخابياً في مدينة مادبا، وإزاء ذلك أقام الشيوعيون في مادبا الذين كانوا يساندون منافسه عبد الرحمن شقير مظاهرة مناوئة لمهرجان حبش، وهذا الاختلاف بين الأحزاب أذكى النقاش والحوار حول الأفكار القومية والشيوعية في مادبا في تلك الفترة⁽⁴⁾.

أما عن حزب البعث العربي الاشتراكي الأردني في مادبا⁽⁵⁾، فقد كان حضور منتسبيه ومؤيديه أقل من الشيوعيين والقوميين، ومن أشهر الأشخاص البعثيين في مادبا ضافي

(1) مقالة بعنوان: "مادبا الحزبية - أمناء عامون"، انظر: مجلة السجل، العدد 67، يوم الخميس الموافق 19 آذار 2009م، السنة الثانية، ص 1-2، وسيشار له فيما بعد: مادبا الحزبية أمناء عامون.

(2) مادبا الحزبية أمناء عامون، ص 1.

(3) الجريري، مادبا السياسية، ص 2، عن رواية شفوية للدكتور منير الحمارنة.

(4) الجريري، مادبا السياسية، ص 2، عن رواية شفوية للدكتور منير الحمارنة.

(5) وللمزيد حول حزب البعث العربي ودور ابن مادبا به انظر: الجمعاني، من الحزب إلى السجن، ص 163-

165، 167-182.

الجمعاني، ومنصور الجمعاني، ووليد نويران، وفايز الحوراني ونشأت حمارنة⁽¹⁾. وكان ضافي الجمعاني أحد أفراد حركة الضباط الأحرار التي تشكلت في الجيش الأردني منتصف الخمسينات، وقد تعرّض للاعتقال ورفاقه الضباط، وحكم عليهم بالسجن لمدة عشر سنوات، وأُفرج عنه عام 1962م⁽²⁾.

كما كان لحاكم الفايز دور في حزب البعث أيضاً، إذ كان عضو القيادة القطرية عن الأردن مع مجلي نصر اوين⁽³⁾. وعند خروجه هو وضافي من الأردن إلى سوريا، اعتقلا في دمشق بعد الحركة التصحيحية على يد حافظ الأسد في حزيران عام 1971م وأودعا في السجن لسنوات طويلة⁽⁴⁾.

كما شكل بعض نشطاء أهل مادبا تجمعاً ضد الحروب والدعوة إلى السلام، فكان الدكتور صالح الحمارنة، أحد أعضاء جماعة أنصار السلام، وكانت أولى مهمات الجماعة فضح الأهداف الإمبريالية؛ لإقامة قواعد عسكرية في المنطقة، وضم بلدان المنطقة للأحلاف العسكرية، ومحاولة تمرير مشاريع مشبوهة لتوطين اللاجئين خارج وطنهم فلسطين، ونبذ سباق التسلح العسكري، وصراف الأموال للمشاريع السلمية، وإنتاج الخيرات المادية من أجل الشعوب بدلاً من سباق التسلح وإنتاج الترسانة الحربية⁽⁵⁾.

وفي إحدى ليالي عام 1951م توجه الدكتور الحمارنة وبرفقته غالب هلسا إلى مقر مجلة «الفجر الجديد» التي كانت تنطق باسم جماعة الأنصار أي أنصار السلم العالمي في الأردن،

(1) الجريري، مادبا السياسية، ص2، رواية شفوية عن أكرم مصاروة.

(2) الجمعاني، من الحزب إلى السجن، ص108-163.

(3) محافظة، دراسات في تاريخ الأردن، ص66. ولمزيد من المعلومات عن حاكم الفايز ونضاله انظر: العساف، عبدالله مطلق، حاكم الفايز، سيرة ومسيرة (1932-2013م)، عبدالله مطلق العساف، عمان، 2014م.

(4) الجمعاني، من الحزب إلى السجن، ص381.

(5) العساف، صالح الحمارنة، ص27.

فالتقوا برفقاء آخرين لهم هناك كانوا في زيارة للأستاذ حسن النابلسي، ومنهم الشاعر محمد محمود العزة، والصيدلاني روفائيل زيادين، وأثناء ذلك جاءت مجموعة أفراد من شرطة العاصمة يحملون أمراً - استثنائياً - بالقبض على الأستاذ النابلسي ومن معه، وهنا شكل السجن الذي يسمح فيه بإدخال الكتب والمقالات رافداً لا يستهان به في صقل تجربة الحمارنة، لا سيما وأنه التقى بمجموعة من المثقفين من الشعراء ومنتسبي الأحزاب السياسية⁽¹⁾. وبقي الحمارنة معتقلاً في سجن الجفر ومع النابلسي واثنان وخمسون ناشطاً من نشطاء الجماعة من عام 1951م، وفي نهاية عام 1952م أفرج عنه وعن بعض رفاقه، وبقي بعضهم يمتح في السجن سنين عدة⁽²⁾.

كانت مادبا تشتعل بالنشاط السياسي آنذاك، تعمها المظاهرات بين الفينة والأخرى، وظهر ذلك جلياً عندما أعلنت الحكومة عن الانضمام إلى حلف بغداد عام 1956م، فتنادى الأهالي في مادبا وغيرها من المدن والقرى الأردنية لرفض هذا الحلف، وفضح أغراضه الغربية المشبوهة تجاه فلسطين والمنطقة العربية. وقام الطلبة الناشطون سياسياً في مادبا بتوزيع المناشير في المدارس والطرق، فعمت المظاهرات أنحاء المدينة كافة، واعتقلت الشرطة عدداً كبيراً منهم أودعتم في سجن السرايا، فيما أرسل آخرون إلى سجن المحطة في عمان، ومن ثم إلى سجن الجفر. يذكر ضافي الجمعاني عن بعض الأمور التي ظهرت في مادبا عام 1956م لا شك أن السلطة كان لها دور في إبرازها؛ لتفتيت الوحدة الوطنية لأهالي المدينة لكي تُضعف من قوة حراكهم وعزيمة نشاطهم السياسي آنذاك حيث يقول: «مما لا شك فيه أن القوى المعادية للحرية استخدمت معاول الهدم من الدعاية المضللة والإشاعات الهدامة، ومحاولات خلق الفتن الطائفية، وهم الذين لا تنقصهم المعرفة ولا الخبرة، فمستودعات الإمبريالية مليئة بهذه البضاعة المسمومة. وسأعطي

(1) المرجع نفسه، ص 27.

(2) المرجع نفسه، ص 27.

مثالين على نوعية هذه البضاعة التي يبيعها أعداء الحرية في السوق السياسي. ففي مدينة مادبا عشائر مسيحية في وسط ريف مسلم، جرت محاولة مشينة كان هدفها إثارة فتنة طائفية أثارها عملاء الإنجليز من كلا الجانبين.... إلا أن المحاولة لم تنجح في أن تصبح فتنة طائفية، وبقيت في إطار العداء التقليدي بين الطرفين؛ لأن الناس العاديين في المدينة مسلمين ومسيحيين بعيدون كل البعد عن العداء الطائفي. وكان الهدف من هذه المحاولة هي أن تستغل إعلامياً على أوسع مدى وخاصة من نُبأحي إذاعة لندن، ومن هم على شاكلتها من الإذاعات الغربية المتخصصة بالتزوير والتزييف ضد الواقع السياسي على ساحة الأردن⁽¹⁾.

وشهدت مادبا أيضاً نشاطاً لحركة الإخوان المسلمين بتأثير من سعيد رمضان، أحد قيادي الإخوان في مصر، وكان لمحمد فؤاد أبو زيد القادم من قرية قباطيا قرب جنين إلى مدينة مادبا، الدور البارز في نشر أفكار الجماعة، إذ عمل مدرساً في المدرسة الثانوية في مادبا، ووثق علاقته بالطلبة وأهاليهم، وكان من أشهر أعضاء حركة الإخوان المسلمين في هذه الفترة الشيخ أحمد عويضة، وعبد المهدي المعاينة، وأحمد قطيش الأزايد⁽²⁾.

وبسبب اهتمام أهالي مادبا وأبنائهم في النشاط الحزبي والسياسي، فقد تولى العديد من أبنائها مناصب حزبية وتنظيمية عليا في أحزابهم، فتولى سالم النحاس منصب الأمين العام لحزب الشعب الديمقراطي الأردني (حشد) عام 1996م، وبقي فيه حتى عام 2003م⁽³⁾.

كما تولى سالم الفلاحات موقع المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن، عام 2006 ولغاية 2008م، فكان له دور بارز في الحزب حيث عمل على تبني الجماعة لقرارات جريئة وإصلاحية منها: أنه لا يجوز للمراقب العام الاستمرار في قيادة الجماعة أكثر من

(1) الجمعاني، من الحزب إلى السجن، ص 84-85، 282.

(2) الجريري، مادبا السياسية، ص 2.

(3) مادبا الحزبية أمناء عامون، ص 1-2.

دورتين متتاليتين، مدة كل دورة أربع سنوات، وأقر مبدأ إدارياً جديداً وهو أن يختار المراقب العام المنتخب فريقه التنفيذي ثم يعرضه على مجلس الشورى من أجل أخذ الموافقة⁽¹⁾، ويقول عنه حمزة منصور: «بأن الشيخ سالم الفلاحات الإسم الأبرز في مسيرة الإصلاح، ليس في صفوف الحركة الإسلامية فحسب، وإنما في منظومة الحراك الشعبي الأردني، فلا تكاد تقرأ عن اجتماع أو لجنة أو فعالية إلا وأبو هشام حاضر فيها»⁽²⁾.

ثالثاً: أهالي مادبا والربيع الأردني:

ظهر الربيع الأردني متوافقاً ومنسجماً مع حركات الربيع العربي بصورة عامة، منادياً بقوة بالإصلاح وتغيير الأوضاع على مختلف الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وازداد الحراك السياسي والاجتماعي بعد أن استشرى الفساد في الدولة ومؤسساتها، ووصلت آثاره خبز المواطن وقوته اليومي، وفي خضم هذا الحراك الوطني كان لأهل مادبا دور كبير، ومساهمة فعالة في هذا الربيع (حركة الإصلاح)، وكانت أولى هذه المحاولات في مادبا في بيت سالم الفلاحات المراقب العام للإخوان المسلمين سنة 2007م⁽³⁾، عندما دعا عدداً من العسكريين المتقاعدين والباحثين والأكاديميين وعناصر من جماعة الإخوان المسلمين؛ لإعلان المبادرة بفكرة الملكية الدستورية، والقيام بإصلاحات دستورية، بحيث يكون الملك رأس الدولة، وانتخب الحاضرون هيئةً لمتابعة المبادرة، ضمت من أهالي مادبا وقراها كل من سالم الفلاحات، والعميد المتقاعد أحمد مطلق العواودة العجارمة، وسعيد البراري، والعقيد. م. باسل المناعسة⁽⁴⁾.

(1) المرجع نفسه، ص 1.

(2) انظر تقديم حمزة منصور، لكتاب سالم يوسف الفلاحات، الربيع الأردني خلال عامي 2011-2012م، دار المأمون، عمان، 1434هـ/ 2013م، ج 1، ص 7. وسيشار له فيما بعد: الفلاحات، الربيع الأردني.

(3) الفلاحات، الربيع الأردني، ص 39-40.

(4) لمزيد حول المبادرة وأهدافها انظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 40-44.

وقد شارك الناشطون السياسيون من أبناء المحافظة في الاعتصام الذي نظّمته مجموعة من الحركات في آذار 2013م على دوار الداخلية، وما نتج عنه من أحداث أظهرت الطبيعة الأمنية والقمعية في كيفية التعامل مع المعتصمين، وجراء ذلك نددت شخصيات سياسية وقيادية أردنية بهذه الإجراءات، وصدرت مجموعة من البيانات بهذا الخصوص، كان من بينها بيان يحمل تواريخ كل من سالم الفلاحات، ومازن هلسا، وعز الدين العواودة، وزياد الشوابكة، وفايز البجالي، وعمار وأياد ولؤي الهلسة، وبسام العبابسة، وضيف الله شخاترة، وخالد سليمان غليلات، ومحمد مفلح الأزايد، وحمدي وسعود القبيلات⁽¹⁾. وقد أصيب الناشط السياسي عدنان الهواوشة في الاعتصام الذي نظّمه حراك ذيان خلال الاحتجاجات التي أعقبت قرار رفع أسعار المشتقات النفطية، وفقّت عينه اليسرى، وتزامن ذلك مع حملة الاعتقالات التي قامت بها الحكومة، والتي طالت معظم الناشطين السياسيين من أبناء مادبا، فشكّل المحامون من أبناء محافظة مادبا هيئة للدفاع عن المعتقلين عرفت بـ «هيئة الدفاع الشعبية عن المعتقلين»، وصدر عنها مجموعة من البيانات تحمل مجموعة من التوقيعات⁽²⁾ نددت بالإجراءات التعسفية التي طالت أبناء المحافظة وطالبت فيها صون الحريات والتعبير عن الرأي⁽³⁾. تلتها مجموعة أخرى من البيانات شديدة اللهجة مطالبة الحكم بالتعجيل في الإصلاح والإسراع في وتيرته⁽⁴⁾.

ومع تصاعد وتيرة الحركات السلمية المطالبة بالإصلاح ظهرت في مادبا عدة حركات ذات الطابع السياسي والوطني العشائري، ومنها: تجمع أبناء قبيلة بني حميدة

(1) المرجع نفسه، ج1، ص102-105، وانظر نص البيان، ص102-103.

(2) للاطلاع على أسماء المحامون الذين أصدرتوا البيانات من أبناء مادبا انظر: الفلاحات، الربيع الأردني، ج2، ص280-283.

(3) المرجع نفسه، ج2، ص277.

(4) المرجع نفسه، ج2، ص277-280.

للإصلاح، وحراك شباب الأزيادة⁽¹⁾، وحراك ذيبان للإصلاح، وتيار المستقلين، وتجمع أبناء العجارمة، وحراك مادبا للإصلاح، وحركات أخرى عديدة⁽²⁾، كان لهم الوطني في مادبا يجمع جميع هذه الحركات، والتي كانت من شتى الألوان والأطياف السياسية، ففيهم من ينتسبون لجبهة العمل الإسلامي، ومنهم القوميون والناصريون والبعثيون والتحريريون والسلفيون وقادة عشائريون ومستقلون.

وبعد مضي أكثر من عامين على انطلاق الحركات الوطنية الإصلاحية، تحت مسميات كثيرة، وهويات مناطقية وجهوية وعشائرية واجتماعية عديدة في مادبا وغيرها من المدن الأردنية يمكننا القول إن الأمور نضجت بها فيه الكفاية، كما إن الخطوط الوطنية العامة للمشروع السياسي الوطني باتت واضحة أمام جميع هذه الحركات، ومن ثم فقد آن الأوان لتشكيل كتلة إنقاذ تاريخية وطنية، تكون عنواناً واضحاً للمعارضة السياسية والاجتماعية، ولتتوحد كل رايات الحركات الإصلاحية في بوتقة وطنية جامعة، لذا تنادت مجموعة من الحركات لتوحيد حركاتهم ورفعوا شعار «وحدة الحراك من وحدة المشروع الوطني»⁽³⁾. وفي مادبا تم الاتفاق بين قيادات الحركات في 18 تشرين الأول سنة 2011م على تشكيل ائتلاف يسمى لجنة شباب ذيبان والحراك الشعبي في مادبا⁽⁴⁾.

بمقابل هذه الحركات الإصلاحية التي شهدتها مادبا وقرائها - ولا تزال في الواقع - نشطت الحكومة مع بعض من مؤيديها في مادبا إلى محاولة امتصاص بعض أشكال الغضب من سوء الأحوال. وفي هذا الخصوص قام الملك عبدالله الثاني ابن الحسين بزيارة محافظة مادبا والعشائر المحيطة لها عدة زيارات، للاطلاع على مطالبهم واحتياجاتهم، وأثناء

(1) المرجع نفسه، ج1، ص168.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص249-252.

(3) العساف، عبدالله مطلق، مقالة بعنوان: "وحدة الحراك من وحدة المشروع الوطني"، وطن نيور، بتاريخ 15 أبريل 2013م.

(4) الفلاحات، الربيع الأردني، ج2، ص196-197.

زيارته الأولى لمادبا بتاريخ 11/10/2010م، وزيارة الثانية بتاريخ 2/7/2011م، أعلن خلالها الملك عن نية الحكومة القيام بالعديد من المشاريع للمحافظة. فاستقبل بحفاوة وجدد له الحاضرون من أهالي مادبا وقرأها البيعة.

وإزاء زخم الحراك المطالب بالإصلاح وتجده بقوة في محافظة مادبا من قبل أبنائها ، سارع شيوخ ووجهاء العشائر والمخيمات فيها إلى تنظيم عددٍ من المسيرات؛ لتقديم الولاء والتأييد والانتماء للقيادة الهاشمية ممثلة بالملك عبدالله الثاني، حيث وقعوا جميعاً عريضة على تجديد البيعة للملك رفعوها إلى الديوان الملكي.

كما نظم آخرون عدداً من المهرجانات الخطابية قدموا فيها التأييد والولاء للنظام، وطالبوا فيها الحكومة الإسراع في الإصلاحات الحقيقية، ومحاسبة الفاسدين، وتحسين وضع المواطن الأردني، وتوفير العيش الكريم له، وضرورة التمسك بالوحدة الوطنية التي بها تزدهر البلدان.